تعليمية "علم أصوات اللغة العربية" بين التراث وعلم الأصوات الحديث

Didactics of "Arabic language phonetics"between heritage and modern phonetics

د. عبد الصمد لميش *
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة_الجزائر
Abdessamed.lamiche@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال2023/04/07	تاريخ القبول: .2023/06/06

الملخص:

لقد سبق علماء العربية القدماء إلى العديد من المفاهيم الصوتية التي أشاد بها علماء الأصوات في العصر الحديث، وفي المقابل فقد طرح هذا السبق العديد من القضايا الخلافية، مما فرض على المشتغلين بعلم الأصوات الوقوف عليها والبحث في حقيقتها واستثمار نتائج ذلك في إنماء المعرفة الصوتية التي تستلهم التراث. خاصة في المجال الأكاديمي المتخصص في علوم اللغة العربية.

لقد ظلت هذه المفاهيم الصوتية بما تطرحه من نقاش وجدل بمنأى عن الاهتمام اللائق بها من قبل أغلب المشتغلين بتعليمية علوم اللغة العربية بصفة عامة، وتعليمية علم أصوات اللغة العربية على وجه التحديد. وفي هذا الصدد ارتأيت أن أعرض إلى أهم هذه المفاهيم التي تعد مثالا لتلاقي التراث اللغوي مع علم الأصوات الحديث، مستجليا من خلالها أهم المشكلات التي لا تزال قائمة لدى تدريس مفاهيم ومصطلحات علم أصوات اللغة العربية. حيث اخترت الوقوف على كل من مفهوم "الحرف والصوت"، و"الصامت والصائت". و"أشباه الصوائت". نظرا لما تكتسيه من أهمية في بناء النظام الصوتي للغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الصوتيات، التعليمية، اللغة العربية، التراث، علم الأصوات الحديث.

Abstract :

The ancient Arabic scholars have presided over many phonetic concepts praised by modern phonetic scientists. On the other hand, this precedent raised many controversial issues, which forced those who work in phonetics to look at them and investigate their results, and using them in the development of phonetic knowledge that is inspired by heritage. Especially in the academic field that specializes in the Arabic language sciences.

These phonological concepts, with their discussion and debate, have been kept from receiving proper attention from most people engaged in teaching of Arabic language sciences in general and Arabic phonetics in particular. In this regard, I wanted to present one of the most important concepts, which is an example of the convergence of the linguistic heritage with modern phonology, through which I illustrate the most important problems that still exist in teaching the concepts and terms of Arabic phonology. I chose the concepts of " HARF" and ""SAOUT, "Vowels and Consonqnts", and "Semi-vowels" because of the importance they attach to building the sound system of the Arabic language .

Keywords: Phonetics, Didactics, Arabic language, Heritage, modern phonetics.

* المؤلف المرسل: عبد الصمد لميش

مقدمة:

تشهد الكثير من العلوم اهتماما متزايدا بطرق تدريسها وتعليمها، وهو ما يمكن أن يرفع من جودة التعليم والتكوين خاصة في الجامعة. ورغم بدء انتشار هذا المنهج السليم في مجال تدريس مختلف علوم اللغة العربية في الجامعة، إلا إننا نشهد قلة الإلتفات لبعض العلوم على حساب الأخرى، فمثلا نجد اهتماما منقطع النظير بتعليمية "علم النحو" أو "البلاغة"، في المقابل لا نجد اهتماما يذكر بتعليمية علم الأصوات، أو بعض العلوم اللغوية الأخرى، فنادرا ما يُؤَلَّفُ في تعليميتها، أو قل إن ما هو مُؤَلّف لا يرقى إلى المستوى المطلوب.

لهذا أردت أن تكون مثل هذه الدراسة، فاتحةً أكاديميةً من أجل النظر في مختلف القضايا التي تتعلق بعلم الأصوات، نظرا بيداغوجيا تعليميا وعلميا في الآن نفسه _وأيضا_ من أجل وضع اليد على العديد من الصعوبات التي تواجه الباحثين والدارسين والطلبة في هذا التخصص، وأقصد بالصعوبات ما ارتبط بمحتويات العلم ومختلف القضايا التي يعالجها.

والمعروف أن الدراسات الصوتية العربية ثرية جدا بالمادة التراثية، والتي تعد مرجعا هاما فيما يتعلق بوصف المستوى الصوتي للغة العربية عند المحدثين، سواء من حيث المفاهيم أو من حيث المصطلحات.

وهنا يمكن صياغة إشكالية للبحث من خلال ثلاثية: (التعليمية، وعلم الأصوات، والتراث اللغوي)، حيث يمكننا فرش الموضوع من خلال محاولة الإجابة عن السؤال الآتي:

_ما هي أهم القضايا التي ينبغي إثارتها لدى الربط بين التعليمية وعلم أصوات اللغة العربية، خاصة مع ما يحتويه التراث العربي من مادة صوتية ثرية لا يمكن تجاهلها؟ وما هي الأهداف المتوخاة من ذلك؟

إن الإجابة عن هذا التساؤل ستفضي بنا إلى ضرورة الحديث عن أهمية الفرق بين تعليم اللغة وتعليم العلم الذي يدرس اللغة. فأهمية تدريس اللغة لا تقل عن أهمية تدريس العلم المشتغل بها، خاصة وأن هذا الأمر يندرج في إطار تكوين المعلم أو الدارس والمختص. وستفضي بنا أيضا إلى الحديث عن ذلك التلاقي الحاصل بين علم الأصوات الحديث والتراث اللغوي العربي، وفتح مجال للنقاش حول تجاوز الصعوبات المعرفية التي قد تطرأ على الطالب أو المتلقي لهذا العلم، من خلال استظهار العديد من المفاهيم والمصطلحات، والتي اخترت من بينها: الحرف والصوت"، و"الصامت والصائت". و"أشباه الصوائت".

1. مفهوم التعليمية:

تجدر الإشارة إلى أن في اللغة العربية عدة مصطلحات مقابلة للمصطلح الأجنبي الواحد، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد الترجمات من المؤلفين، إلى جانب ظاهرة الترادف في اللغة العربية وفي لغة المصطلح الأصلية؛ ومنها مصطلح «DIDACTIQUE» الذي يقابله في العربية عدة ألفاظ:(الديداكتيك، التعليميات ،علم التعليم،التدريسية،علم التدريس، التعليمية)، وتتفاوت هذه المصطلحات من حيث

الاستعمال؛ ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال "ديداكتيك" تجنبا لأي لبس في مفهوم المصطلح، نجد باحثين آخرين يستعملون "علم التدريس" و"علم التعليم"، وباحثين آخرين قلائل يستعملون مصطلح «تعليميات» مثل لسانيات ورياضيات ... الخ. أما مصطلح "تدريسية" فهو استعمال عراقي، لم يشع استعماله. غير أنّ المصطلح الذي شاع في الاستعمال أكثر من غيره هو: "التعليمية" أو" التعليميات"، ولذلك اخترته مقابلا لـ «Didactique» بالرغم من الإغراء الذي يمارسه كل من مصطلح "علم التدريس" و "علم التعليم". [1]

وقد قدّم جان كلود غاينون (J.C.Gagnon) تعريفا للتعليمية في دراسة له أصدرها سنة 1937 بعنوان: «ديداكتيك مادة» (La didactique d'une discipline) ، قائلا بأنها: «إشكالية إجمالية ودينامية، تتضمن: - تأملا وتفكيرا في طبيعة المادة الدراسية وكذا في طبيعة وغايات تدريسها. _ إعدادا لفرضياتها الخصوصية، انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار لعلم النفس والبيداغوجية وعلم الاجتماع »[2]

نستنتج من هذا التعريف أن التعليمية علم في حد ذاته مستقل بنفسه، وفي الوقت ذاته له علاقة وطيدة بعلوم أخرى، وهو يدرس التعليم من حيث محتوياته ونظرياته وطرائقه دراسة علمية. وهو _في ميدان تعليم اللغة_ يبحث في سؤالين مترابطين ببعضهما هما، ماذا ندرس؟ وكيف ندرس؟.

ويتعلق الأمر بالمادة الدراسية من حيث كمها وكيفها بالنظر إلى محتواها ومختلف المفاهيم التي تتماشى مع احتياجات المتعلمين، وفي مجال تعليم اللغات تجيب عن هذا السؤال اللسانيات التطبيقية، وهو تخصص يتداخل مع التعليمية. أو علم البيداغوجيا، الذي تعد علوم التربية وعلوم المناهج التعليمية منبته الأول. أما في مجال المناهج فالأمر يتعلق بتعيمية العلم في حد ذاته وهنا تتدخل الناهج التكوينية، المرتبطة بكفاءة المعلمين في طريقة التعامل مع المحتوى المتعليمي، وكيفية تقديمه للمتعلمين، وطرائف التقديم مراحلها.

2. بين تعليمية "اللغة العربية الفصحى" وتعليمية "علومها":

على الرغم من كون التعليمية معرفة علمية ثرية ولا بد منها في العملية التربوية والتعليمية فإن القليل من الأساتذة والباحثين ممن تجده مهتما بها في ميادين التخصص، من باب التأليف في كيفية تقديم محتوى المادة أو المنهج وما إلى ذلك، حيث سنوجه نظر القارئ_في هذا السياق_ إلى هذا الفراغ من خلال استحضار ثنائية "اللغة" و "علوم اللغة"؛ أي المتن والعلم الذي يختص بدراسته.

والواقع أن تعليم نسق اللغة العربية الفصحى في وقتنا الحاضر يخضع لبناء منهجي، وهو ما نصطلح عليه "بتعليمية اللغة العربية" التي تختلف عن غيرها من "التعليميات"، نظرا لارتباط موضوع التعليم بوسيلة التعلم ذاتها.

لذلك فإن العلاقة القائمة بين العلم في حد ذاته، وهو هنا اللسانيات بشقها النظري والتطبيقي وبين موضوعه، هي ذات أهمية قصوى، وتتخذ في سياق هذا البحث صورة خاصة بتركيزها على شقها الأول من العلاقة من خلال التطرق إلى مفاهيم المستوى الصوتي للسانيات العربية عند القدماء

والمحدثين، وأوجه التعامل معها لدى تدريس مقياس علم الأصوات، على اعتبار أن غايتها النهائية هي إعداد نماذج لمختصين في تدريس اللغة العربية يحسنون فهمها، ويمتلكون أداة شرح نسقها ونظامها في كل مستوياته (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية)، ولهم القدرة على الاشتقاق من علومها ما يوصلون به متعلم النسق الفصيح إلى الاستعمال الصحيح والسليم من الأخطاء، كحد أدنى والاستعمال البليغ والنموذجي كحد أقصى من مستويات الاستعمال.

3. أهمية التفريق بين تعليم علوم اللغة واكتساب اللغة وتعلُّمِها:

إنه من الأهمية بمكان أن نستحضر التصور التراثي لفكرة الفرق بين تحصيل القواعد والمفاهيم اللسانية التي تخضع لها اللغة بصفة عامة، والاشتغال بتدريس هذه المفاهيم والأصول والقواعد من جهة، وبين إتقان استعمال اللغة من حيث هي وسيلة تواصل من جهة أخرى. فلقد توفر في التراث العربي هذا الفرق بصورة أدق وبشرح لا فت للنظر، وذلك عند عبد الرحمن بن خلدون" (ت 808 ه) في مقدمته الشهيرة، بقوله: « إن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعلم، والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة بقوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة. فهو علم بكيفية لا نفس كيفية. فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا »[3]. وقد خلص ابن خلدون إلى أن المشتغل بعلوم اللغة وخاصة النحو، قد لا يصل إلى امتلاك ناصية النسق الفصيح استعمالاً، كما قد تفشل في الوصول بمن يعلمه إلى ما فشل في الوصول إليه من عجز عن الإتيان بالكلام الفصيح على وجهه.

إن هذا التمييز الفارق يضع البنية القواعدية للغة العربية التي عبر عنها ابن خلدون بمصطلح "ملكة اللسان العربي" في موضعها الصحيح. لأن انتظام اللغة في الاستعمال مرده إلى إحكام توظيف قواعدها صوتا وصرفا وتركيبا، بينما العلم بكيفية اشتغال تلك القواعد، وتعليم هذا العلم، أو ما قصده ابن خلدون بتعليم وإكساب "قوانين صناعة العربية"[4] ، هو أمر يأخذ مسارا منهجيا مختلفا لدى اللسانيين.

حيث إن الاشتغال بمنهجية تعليم علوم اللغة كغاية أكاديمية لأجل الحصول على مكونين قادرين على توظيف هذه العلوم توظيفا ناجحا لدى تدريس النسق الفصيح يتطلب الوقوف على المشكلات التى تشكل قاسما مشتركا بين الصعوبات الكامنة في هذا النسق، وبين ما تطرحه علوم اللغة العربية بمختلف مستوياتها لدى تدريسها من قضايا لغوية قد تكتسي طابعا خلافيا بين ما يقدمه علماء اللغة القدماء ونظرائهم في العصر الحديث.

4. المشكلات "الصوتية" لدى استعمال النسق اللغوي الفصيح:

إن مشكلة الاستعمال السليم لنسق اللغة العربية الفصحى تبدو جلية، إذ إنّ الصورة السائدة في مجتمعاتنا اليوم لنمط التواصل اللغوي هي ذات سمة لهجيّة عاميّة، وأعتى مظاهر الخلل في بنية هذا النمط التواصلي تظهر في شكل تغير صوتي يشمل تأثيره كل مستويات اللغة بدءا من الصوت المفرد

وانتهاء بالجملة، فالتلفظ يكشف حقيقة هذا الخلل الذي يمس جوهر اللغة باعتبارها أصواتا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم على حد تعبير اللغوي التراثي "ابن جني".[5]

كما نجد أن "ابن خلدون" قد عبر عن ذلك بعبارة "فساد الملكة" أو"فساد اللّسان العربي" بقوله: «ثم فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم. وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل، صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم، ويسمع كيفيات العرب أيضاً، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه، فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى. وهذا معنى فساد اللسان العربي»[6]

فالنسق الفصيح الذي ساد في القرون السابقة للهجرة النبوية وما كان بعدها من مدة زمنية قد أسماه ابن خلدون ملكة مضر[7] وهو نسق قبيلة قريش الذي نزل به القرآن الكريم. واستمر إلى غاية ظهور اللحن وانتشاره في ألسنة العرب بعد انفتاحهم بسبب الإسلام على الأمم المختلفة الناطقة بغير العربية واندماجها معها، فقدت الإعراب ودب فيها اللحن وغلبت فيها العجمة.[8]

وفي هذا السياق، قدم ابن خلدون صورة عن المشكلات الصوتية التي رصدها في عهده، وتتعلق بالتبدل الذي طرأ على نطق بعض أصوات العربية بسبب تلك العوامل، فيقول عن نطق صوت القاف من أهل الجيل الذي أدركه في عهده أنهم: "لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللسان و ما فوقه من الحنك الأعلى. و ما ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف و إن كان أسفل من موضع القاف و ما يليه من الحنك الأعلى كما هي، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف و القاف."[9] وقد عد ابن خلدون هذا التحول خاصية يتميز بها العربي من الهجين والحضري.

والمشكلات الصوتية التي أصابت العربية الفصحى وولدت بعدًا للنسق العربيّ الفصيح القديم عن صورته الأولى وتحوله إلى نسق لهجي أو عامي، كثيرة تطرق إليها العديد من الباحثين، ودرسوها مقارنين فيها بين عامية الأقطار العربية والنسق الفصيح، مثل التحويل والتبديل في مخارج الحروف وصفاتها، وإبدال الأصوات ببعضها البعض، أو قلبها قلبا مكانيا، وتقصير الصائت أو تطويله أو حذفه، والتغيير في المقاطع الصوتية.[10]

5. الإشكالات المتعلقة بمفاهيم علم الأصوات:

إن الغرض من إيراد هذه القضايا، هو تجلية تلك الحقيقة العلمية التعليمية، التي أعلنت عنها في بداية البحث، وهي تبيان الحاجة إلى تقييم محتويات علم الأصوات وقضاياه بما يتوافق وحاجات المشتغلين بالعلم، دون أن يكون ذلك عاملا مؤثرا على قيمة التراث ونتائجه العلمية الباهرة، مما سيضطرنا في آخر هذه الدراسة إلى العودة إليها قصد تقييم هذا الطرح المنهجي، الذي يجمع بين التراث والدرس الصوتي الحديث.

وعليه يمكن القول _ابتداء_ أنه لولا أن الدرس الصوتي في العصر الحديث قد استثمر ما توصل إليه علم التشريح، والفيزيولوجيا أو علم وظائف الأعضاء، وعلم الفيزياء الصوتية، مما وسم نتائجه بالدقة والموضوعية، لأمكن القول على الدرس الصوتي عند القدماء بأنه أقدر في مجال وصف أصوات اللغة العربية وشرح قواعد اعتمالها وتفسيرها، لما أظهره من سبق واقتراب من النتائج التي توصل إليها علم الأصوات في العصر الحديث في الكثير من القضايا الصوتية.

ولكن لم يحل ذلك دون مشكلات ارتبطت بالعديد من المفاهيم، التي سنعالج منها كلاً من: الحرف والصوت، والصامت والصائت، وشبه الصائت.

1.5. الحرف والصوت:

لقد استخدم القدماء مصطلح الحرف دالين به على الصوت المفرد وعلى صورته في الكتابة، [11] فيقولون مثلا "**مخارج الحروف وصفاتها**" قاصدين بالحروف "**الأصوات**"، كما استخدموا مصطلح الحرف للدلالة على أسماء الأصوات المفردة، فقالوا (**حروف الهجاء**) أو (**حروف المعجم**)[12] وهي:(الألف، والباء، التاء... إلخ). ورمزها المكتوب في الخط:(ا، ب، ت،....إلخ)

ولكن المنهجية العلمية تقتضي الفصل بين المصطلحين، وذلك بتخصيص الصوت لما يكون في النطق، وجعل الحرف دالا على رمزه المكتوب، وهذا ما سار عليه المحدثون من علماء الأصوات.

فإذا رجعنا إلى مختلف نصوص التراث اللغوي والتمعن فيها، نجد صورة استخدام المصطلحين توحي بوجود فرق بين دلالة كل من مصطلح الحرف والصوت. خاصة عند ابن جني(ت392هـ)، وفي أول نص له من كتابه سر صناعة الإعراب، حيث يقول: « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرِض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ». [13]

وهو ما يفهم منه أن الصوت يختلف عن الحرف، وهو مفهوم عام، كما قد عرفه في سياق آخر، وهو لا يختص بصوت الإنسان لوحده بل يشتمل على أصوات الأشياء والحيوانات أيضا[14]. لهذا فقد اشتق ابن جني مفهوم الحرف من الصوت على إطلاق دلالة كلمة صوت. وهو عنده ما يحصل من موضع إعاقة النفس الخارج من جهاز النطق (وقد سماه بالمقطع) والذي من شأنه أن يسم الصوت ويميزه عن غيره، ليندرج (معنى الحرف) عند ابن جني ضمن مفهوم تمييزي، يتقابل به مع باقي صور الاعتراض في جهاز النطق. ويؤكد هذا قوله : «وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك. ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فإن انتقلت منه راجعا عنه، أو متجاوزا له، ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول. وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هناك صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين».[15]

وتستوقفنا في هذا النص العبارات المتعلقة بسماع الجرس، والصدى، الذي يكون نتيجة اعتراض الهواء من طرف أعضاء جهاز النطق. وهي عبارات تشي باستحضار فكرة المقارنة بين جهاز النطق عند الإنسان والآلات الموسيقية كالناي والعود[16]. حيث يستخدم ابن جني في النصوص الشارحة لفكرة المقارنة هذه مصطلح الصوت وكيفية صدوره من الإنسان أو الآلة، غير أنه يتمسك بمصطلح الحرف ويربطه بنقطة الاعتراض في جهاز النطق (**Point d' Articulation**)، والتي سماها بموضع (قطع الصوت). وهو ما يقابل (الضغط والحصر) في الآلة الموسيقية[17].

غير أن هذه الدلالات الفارقة _جزئيا_ بين مفهومي الصوت والحرف في نصوص ابن جني لا تطرد عنده على النحو الذي يشتهيه الدارسون المحدثون. لأنه سرعان ما يتمسك بمفهوم "**الحرف**" الذي تتطابق فيه الصورة المسموعة والصورة المكتوبة للصوت اللغوي، رغم إشادته بأسبقية اللغة المنطوقة على اللغة المكتوبة، باعتماده على مبدإ الاعتداد باللفظ والنطق كدليل على وجود الصوت اللغوي حتى وإن كان ناقصا من حيث ثبات صورته في الكتابة أو الخط كصوت الهمزة التي تتكئ غالبا على غيرها خاصة على الألف والواو والياء[18].

وفي هذا السياق أرى من المهم استحضار الفرق بين مفهوم "الصوت العام" ومفهوم "الصوت اللغوي" في الدرس الصوتي الحديث، لنجد أن مفهوم "الصوت" عند ابن جني الذي هو عام وغير مختص[19] هو عينه الصوت العام عند المحدثين، الذي يعرف بأنه مفهوم عام يرتبط بكل أثر سمعي مهما كان مصدره (إنسان، حيوان، جماد، ونحوه) ويستلزم إنتاجه ما يلي:

1- جسم يهتز لينتج الذبذبات الهوائية.

2- وسط ناقل لهذه الذبذبات.

3- جسم يتلقى هذه الذبذبات.[20]

بينما مفهوم "الحرف" عند القدماء إذا اعتبرنا دلالته على الشق المتعلق بالصورة المسموعة، فهو أقرب ما يكون إلى مفهوم الصوت اللغوي عند المحدثين[21]، الذي يعرف بأنه حدث إنساني وحركة تنتجها أعضاء النطق مؤثرة ومعدلة في عمود الهواء الخارج من الرئتين، فينتج عنها ذبذبات، تنتقل عبر الهواء، إلى أعضاء السمع، وهو أيضا أصغر وحدة يصل إليها التقطيع المزدوج (La Double Articulation)، ويتم حدوث الصوت اللغوي وفقا للخطوات الآتية:

1- مرحلة إصدار الأصوات من جهاز النطق، وهي ذات مظهر فسيولوجيّ، أو عضويّ يتعلق بالعملية الحركية التي تقوم بها أعضاء النطق. وهو ما يعرف بالجانب النطقي أو الفيزيولجي للصوت اللغوي.

2- مرحلة انتقال الصوت من فم الناطق عبر الهواء الخارجي في شكل ذبذبات أو موجات، وهو ما يعرف بالجانب الأكوستيكيّ، أو الفيزيائي للصوت اللغوي.

3- مرحلة استقبال الصوت لتلك الذبذبات والموجات عبر أذن السامع. وتحويلها إلى أصوات مدركة، وهو ما يعرف بالجانب السمعي إضافة إلى عمليات الإدراك النفسي للصوت اللغوي.

ويجدر القول بأن كل تحليلات القدماء الصوتية التي استخدموا فيها مصطلح الحرف متضمنة بصورة جزئية لمعنى الصوت اللغوي، وأنها ملتبسة عندهم بمعنى الصورة المكتوبة كما سبق ذكره. ويؤيد هذا اعتبارهم الأصوات الصائتة الطويلة (الألف والواو والياء) حروفا، وتسمية الأصوات الصائتة القصيرة (الفتحة، والضمة والكسرة) حروفا صغيرة أيضا، إلى جانب إطلاق مصطلح الحركات على الأصوات الصائتة غير القصيرة. وسيأتي بيان هذا لاحقا.

وهذا ما يحدو بنا إلى تمحيص الفكرة السائدة ومناقشتها؛ إن مفهوم الحرف عند القدماء يرد كمقولة جامعة لكل ما له في الكتابة أو الخط صورةً مستقلةً وثابتةً، وأن التمييز للحرف لا يكون مستقلا عن فكرة كونه هو الأصل في بناء الكلمة، بغض النّظر عمّا يندرج تحته –بسبب تعميم دلالة مصطلح الحرف- من أصوات ذات صفات تمييزيّة فارقة والمقصود بها الصوائت أو حروف المد واللين، أو الحروف الصغيرة التي هي الحركات في مقابل الصوامت.

و قد حاول المستشرق السوفياتي "غابوتشان" تقديم تفسير لهذه القضية؛ فبالنسبة إليه إن تمييز الحرف في علم العربية كمقولة جاءت نتيجة التجريد. ويرى أن التسمية العربية لأي حرف تفيد حالاته الأربعة مضموما، مفتوحا، ومكسورا، و ساكنا، أي أشكاله مع الحركات المختلفة ودون (الحركة)، ويعني ذلك أن الحركات تعتبر عناصر زائدة تدخل في تكوين الحرف وليست صوائت تضاف إلى الحرف، والحرف المؤلف من عنصرين (صامت، صائت) يعتبر وحدة لا تتجزأ في بنية الكلمة عربية.[22]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إلى أي مدى يمكن الاعتداد بالتصور التراثي لفكرة للحرف، والتي سيطرت على الدرس الصوتي عند القدماء، بما فيها من التباس، وتجميع لمختلف العناصر الصوتية التي أولاها الدرس الصوتي الحديث أهمية كمفهوم الصائت والصامت، وتمييزه عن الساكن والمتحرك؟

2.5. الصوامت والصوائت:

يقسم المحدثون أصوات اللغة إلى صنفين متباينين، الصوامت (**consonants-consonnes**)، والصوائت، (**vowels-voyelles**).

ويعرف الصائت، بأنه «الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا»[23]

ويعرف الصامت بأنه «الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما (كما في حالة الباء) أو اعتراضا جزئيا من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع (كما في حالة الثاء والفاء...)»[24]

وهذا التفريق بين الصنفين مبني على أساسين اثنين؛ أولهما عضوي متعلق بكيفية مرور الهواء خلال الحلق والفم وبوضع الوترين الصوتيين من جهر وهمس. وثانيهما سمعي يتعلق بوضوح الأصوات في السمع, فقد لوحظ أن بعض الأصوات أشد وضوحا في السمع من بعض، .بمعنى أنها تسمع على مسافة أبعد عندما تنطلق بنفس الطول و الارتكاز والدرجة. وهذا هو السبب الذي من أجله اعتبرت هذه الصوائت طبقة من الطبقتين الرئيسيتين"[25]

والمحدثون يولون للصوائت، في الدرس الصوتي الحديث، أهمية بالغة، فقد خصوها بمباحث وأبواب خاصة، كما فعل إبراهيم أنيس ومن حذا حذوه، ناظرا في مفهومها ومقاييسها والفرق بينها وبين أشباه الصوائت، مقدما إياها على مبحث الصوامت، وذلك في كتابه الأصوات اللغوية[26].

كما تدخل الصوائت في بناء المقاطع الصوتية، حيث يتحدد نمط المقطع بناء على طولها أو قصرها.

ولكن رغم وضوح الصوائت في اللغة، مقارنة مع الصوائت، فقد طرح التراث الصوتي، باكتشافه المبكر لها، تصورا متناقضا من حيث منهجية تعامله معها، فلقد تنبه القدماء إلى كونها تمثل نمطا مستقلا، ومتميزا عن باقي الأصوات، ولكنها في المقابل ظلت في مكانة ثانوية في مقابل الصوامت أو "الحروف"، ونلمس هذا في العديد من الأفكار الصوتية، المنتشرة في نصوص القدماء.

وفي هذا الصدد، تظهر أهمية الربط بين مفهوم الحرف، ومفهوم الصامت والصائت، ومفهوم الساكن والمتحرك، لنجد أن العلاقة التي تربط بين المصطلحات تستدعي الوقوف على دلالاتها بين القدماء والمحدثين، وعلى تفكيك الغموض والالتباس المرتبط بها. وفي هذا الصدد نستحضر بعض النصوص من التراث، وما تطرحه من أسئلة حول الصوائت. لنعرج على المحدثين ومحاولتهم لتقديم تفسير لهذه الإشكالات اللغوية التراثية، وليس كل ذلك إلا لعرض ما يستوجب إعادة النظر فيها من قبل المشتغلين بتدريس الصوتيات.

5. 2. 1. تمييز الصوائت عن الصوامت في التراث اللغوي:

لقد فرق علماء العربية القدامى بين الصوائت والصوامت تفريقا دقيقا، وبنوا ذلك على أساس اتساع المخرج مع الصوائت دون الصوامت. فالخليل بن أحمد (ت 175هـ)، ينص على أن "الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء"[27]. لأنها لا يتعلق بها شيئ"[28]. أما سيبويه (ت 194هـ)فقد ذكر في معرض حديثه عن صفات الأصوات بأن منها: "(اللينة) وهي الواو والياء, لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها كقولك وأي و الواو, وإن شئت أجريت الصوت ومددت. ومنها (الهاوي) وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف. وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها

وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف ثم الياء ثم الواو"[29] وكذلك ابن جني في قوله: «وللحروف قسمة أخرى إلى الصحة والاعتلال فجميع الحروف صحيح إلا الألف والياء والواو اللواتي هن حروف المد والاستطالة.»[30] وفي موضع آخر يقول: "والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء، ثم الواو وأوسعها وألينها الألف".[31] ويذكر أيضا: "و الحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة وهي الألف والياء والواو".[32] كما يقول ابن جني في باب مضارعة الحروف للحركات و الحركات للحروف: "الحركة حرف صغير، ألا ترى من المتقدمين قوم ممن كان يسمي الضمة الواو الصغير والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة والألف الصغيرة ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفا من جنسها".[33]

إن هذه النصوص مجتمعة لا تدع مجالا للشك في إتيان القدماء بما يفرق بين الصنفين تصنيفا يعتمد على الأساسين الذين اعتمد عليهما المحدثون، العضوي المرتبط باتساع المخرج، والسمعي المرتبط بدرجة الصوت وقوة اسماعه.

5. 2. 2. الصوائت هي حروف المد واللين مع الحركات:

من النصوص السابقة يظهر جليا سيطرة مصطلح "الحرف" على وصف أصوات اللغة، حتى لقد شمل الصوائت طويلها وقصيرها، التي أطلقوا عليها "حروف العلة أو حروف المد واللين، حروف المد والاستطالة وهي (الألف والواو والياء)"، أما الصوائت القصيرة (الفتحة و الضمة والكسرة)، فقد شاع استخدام مصطلح "الحركات" للدلالة عليها، كما وصفوها أيضا "بالحروف الصغيرة"، يقول ابن جني : «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والواو والياء، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة.»[34]. ويستثنى من القدماء المبرد(ت 286 ه) والفارابي(ت339 ه) وابن سينا(ت428 ه) الذين خصصوا مصطلح "المصوت" للدلالة على الصوائت[35].

وتجدر الإشارة إلى أن المحدثين قد استخدموا مصطلحات القدماء مع شيء من التعديل، فأطلقوا على "حروف اللين"، و"الحركات" مصطلح "أصوات اللين" ليشمل الصوائت القصيرة والطويلة، في مقابل الأصوات الصامتة أو الساكنة،[36] كما استخدموا مصطلح "الحركات"،[37] و مصطلح "العلل".[38]

5. 2. 3. الصوائت القصيرة والطويلة:

تصنف الصوائت حسب المدى النسبي (Relative Duration) إلى حركات طويلة وحركات قصيرة، أو صوائت طويلة وأخرى قصيرة، فالطويلة هي أصوات يستمر فيها خروج الهواء حتى يصير معه مدى النطق بها مساويا لمدى النطق بصائتين قصيرين"[39].

ولقد أدرك القدماء هذه القيمة العلمية، وأقروا بأن الفرق بين الصوائت القصيرة والطويلة هو فرق في الكمية (المدى) فقط، وقد عبروا عن ذلك بمصطلح (بعض)، كما في قول ابن جني : «متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفا من جنسها".[40] كما نجد لابن سينا نصا مهما في هذا

الصدد، حيث يقول: "اعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة ... وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة والياء المصوتة إلى الكسرة»[41]

غير أن هذا الإدراك لهذا الفرق المعتبر بالكمية، لم يحدد لدى القدماء تحديدا دقيقا؛ فلم يذكر ابن جني ما إذا كان الفرق معتبرا بالثلث أو بالنصف، على الرغم أنه في سياق آخر يتطرق إلى مدى الطول الذي يستغرقه الصائت الطويل نتيجة عامل المجاورة، يقول: «إن الألف و الياء والواو، اللواتي هن حروف توامّ كوامل، قد نجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك: يخاف، يسير، يقوم، فتجد فيهن امتدادا أو استطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا، وذلك نحو: يشاء، يسوء، يجيء وتقول مع الإدغام: شابة.»[42]

ويرى عدد من الباحثين المحدثيين أن الفرق بين صائت قصير وآخر طويل هو تقريبا مضاعفة القصير أو أكثر، ومن بينهم داود عبده حين تحدث عن المد الطويل، حيث برهن على ذلك بقوله: «إذا كان القول أن الدال المشدودة في كلمة مثل :(ردّ: ر ـَ دْ د ـَ) قد نتجت من الدالين المتواليتين في(ردَدَ : ر ـَ د ـَ د ـَ) بعد سقوط الفتحة الواقعة بينهما قولا مقبولا، فقول أن الألف في مثل (بَاعَ) قد نتجت من الفتحتين المتوليتين في (بَيَعَ) (ب ـَ ي ـَ ع ـَ) بعد سقوط الياء الواقعة بينهما يجب أن يكون قولا مقبولا أيضا»[(43)].

وتجدر الملاحظة إلى أن اعتراف القدماء بوجود ستة أصوات صائتة كان غالبا ما يختزل في ثلاثة أصوات، وربما يرجع ذلك إلى أنهم لما أحسوا بأن الفرق بين الفتحة وألف المد لا يعدو أن يكون فرقا في طول الصوت (الكمية)، وكذلك الفرق بين ياء المد و واو المد، إذا قورنتا على الترتيب بالكسرة والضمة[44] اكتفوا بإنابة الطويلة عن القصيرة خاصة لما رأوا استقرار صورتها في الخط.

3.5. أشباه الصوائت:

تحت عنوان أشباه الصوائت، تجد أهم مشكلات الدرس الصوتي طريقها إلى المعالجة الموضوعية التي يوظف فيها كل ما تقدم في هذه الورقة البحثية، حيث إن الدرس الصوتي الحديث يكترث لهذه الفئة من الأصوات، ويضعها في الخانة المهمة من المعالجة التقنينية لفونيمات اللغة ولقوانين تآلفها وتخالفها، وفي هذه الصدد نستحضر نصا للباحث اللغوي جعفر دك الباب، يقول فيه: «إن علماء العربية استخدموا لدى دراسة أصوات العربية مصطلح الحرف للدلالة على شكل الكتابة، وللإشارة إلى الصوت، لذا بحثوا في الألف المدة كصوت صائت غير قصير، كما بحثوا في الهمزة -وهي أقرب الأصوات الصامتة إليها من حيث المخرج- لوجود حرف في الأبجدية لكل منها (ا، ء)، ولكنهم لم يبحثوا بشكل منفصل في الياء المدة كصوت صائت غير قصير، وفي الياء غير المدة كصوت صامت لاشتراكهما بحرف واحد في الأبجدية (ي)، كما أن علماء العربية لم يبحثوا بشكل منفصل في الواو المدة كصوت صائت غير قصير، وفي الواو غير المدة كصوت صامت لاشتراكهما بحرف واحد في الأبجدية (و)»[45]

ومن هذا النص، نتلمس خيوط مشكلة من أهم مشكلات الدرس الصوتي عند القدماء، ولا زالت تحتاج إلى التمحيص، حيث نتطرق إليها بالبحث في مصطلح **أشباه الصوائت**، من خلال ما يأتي:

5. 3. 1. مفهوم أشباه الصوائت:

يطلق مصطلح "شبه الصائت" (Semi-voyelle) على الأصوات اللغوية التي لها بعض خواص **الصوائت** من جهة وبعض خواص **الصوامت** من جهة أخرى. وفي اللغة العربية، نجد صوتين اثنين ينطبق عليهما هذا الوصف. وهذان الصوتان هما : الواو، الياء.

فهما يحملان قيمتين صوتيتين مختلفتين، فهما من حيث النطق، يكونان صوتين صائتين كالياء في (القاضي) والواو في (أدعو) تنطبق عليها خصائص الأصوات الصائتة انطباقا تاما، ولا فرق بين الكسرة [ِـ] والياء في القاضي، ولا فرق كذلك بين الضمة القصيرة [ـُ] و الواو في أدعو إلا في الكمية.

وتكونان صوتين صامتين ضمن نظام الأصوات الصامتة، والحكم عليها باندراجهما ضمن هذا النظام يرجع إلى أسباب صوتية نطقية وإلى أسباب وظيفية؛ فالواو في مثل (وَلد) والياء في مثل (يَترك) يعدان صوتين صامتين نظرا لـ:

- قلة وضوحها في السمع إذا قياسا بالصوائت.
- كيفية خروجهما من جهاز النطق؛ وذلك أن الفراغ بين مقدم اللسان وبين الحنك الأعلى، في النطق الياء، يكون أضعف منه في حالة النطق بالصوت الصائت في مثل (**قاضي**)، ويترتب على ذلك أننا نسمع نوعا من الحفيف في نطق هذه الياء، وكذلك الحال مع الواو حيث يكون الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك حال النطق بها أضيق منه حال النطق بالصوت الصائت في مثل (**يدعو**)، ومن ثم يسمع حفيف ضعيف مع النطق بهذه الواو. كما أن الياء والواو في هذين المثالين الأخيرين أقصر في المدى من الأصوات الصائتة المناظرة لهما.

لهذا أطلق عليهما بعض الدارسين مصطلح (**أشباه الصوائت**) أو(**نصفا الحركة**).

5. 3. 2. أشباه الصوائت وتعداد أصوات اللغة العربية:

وفي التراث اللغوي الصوتي نقف على نصوص ذات أهمية تشير إلى وجود صنف أشباه الصوائت، منها قول سيبويه عن الياء في " أن أُعْطِيَه " إنها «لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل، نحو باء "ضَرَبَه "، وبعد شبهها من الألف..»،[46] حيث يظهر مصطلح "<u>حرف اللين</u>" وعبارة "مثل غير المعتل" أي الصوت الصامت، إدراكا للقيمة المزدوجة التي يحملها هذا الصوت، ويؤسس هذه الفكرة للاحقين بعده،[47] ومنهم ابن جني، إذ يفسر جواز أمثال "غُيُر" و"عِوَض" في اللغة، فيقول: «إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح، فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما[48] ويقول في سياق آخر: «ألا ترى إلى اجتماع الواو والياء ردفين وامتناع ذلك في الألف وإلى جواز حركة كل واحدة من الياء والواو مع امتناع ذلك في الألف».[49]

ومن أكثر النصوص توضيحا لتميز الواو والياء (شبهي الصائتين) نص لمكي ابن أبي طالب القيسي(ت 437هـ)، إذ يقول: «حرفا اللين وهما: الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة، وإنما سميتا بذلك لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا المد الذي في الألف، وبقي فيهما اللين لسكونهما،

فسميتا بحرفي اللين»,[50] وكذلك أبو عمرو الداني(ت444هـ)، حيث يقول: «فإن انفتح ما قبلهما زال عنهما معظم المد، وانبسط اللسان بهما، وصارا بمنزلة سائر الحروف الجامدة.»[51]

وتجدر الإشارة إلى أن علماء القراءات قد ترسخت عندهم فكرة "أن صوتي اللين هما الواو والياء الساكنتين المسبوقتين بفتحة"، في مقابل فكرة تخصيص الأصوات الصائتة (الألف والواو والياء) بمصطلح بحروف المد.

وليس أوضح في هذا السياق من نص ابن جني الذي يقول فيه: « من ذلك عندى أن حرفي العلة (الياء) و(الواو) قد صحا في بعض المواضع للحركة بعدهما كما يصحان لوقوع حرف اللين ساكنا بعدهما وذلك نحو: القوَد والحوَكة والخوَنة والغيَب والصيَد وحوِل وروع، و(إن بيوتنا عورِة) فيمن قرأ كذلك. فجرت الياء والواو هنا في الصحة لوقوع الحركة بعدهما مجراهما فيها لوقوع حرف اللين ساكنا بعدهما؛ نحو القواد، والحواكة، والخوانة، والغياب، والصياد، وحَوِيل، ورويع وإن بيوتنا عويرة.»[52]

ولكن هذا الإدراك المفهومي لهذين الصوتين والمدعم بأمثلة عديدة وصريحة، لا يقابله اعتراف بقيمتهما في الواقع اللغوي ضمن الأصوات الأساسية للغة العربية المكونة للنظام المقطعي العربي، فالمشكلة تتجاوز حدود التصور المفهومي؛ إذ إننا نقف عليها في مرحلة مبكرة من الدرس الصوتي وذلك عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في أول تصنيف للأصوات اللغوية حسب مخارجها، حيث يقول: «في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا، لها أحياز ومخارج, وأربعة هوائية وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة»[53]. ويأخذ الخليل بعد ذلك في بيان مخارج ما سماه الحروف الصحاح ويأتي عليها واحدا واحدا إلى أن يصل إلى الصوائت فيقول: "الألف اللينة والواو والياء هوائية،أي أنها في الهواء."[(54)] ويؤكد على كلامه هذا بأنها "لا يتعلق بها شيء".[55] أي أنها لا تنسب إلى موضع بعينه من جهاز النطق.

ومعنى هذا أن الخليل قد جعل كل من الواو والياء والألف الصوائت ضمن حيز لوحدها، وعزلها عن جميع الأصوات الأخرى وهي "**الحروف الصحاح**"، مما ترتب عنه إقصاء **الواو والياء** من حيث هما شبيهين بالصائت من الدائرة المخرجية، ومن تعداد أصوات اللغة العربية. ويزيد هذه تأكيدا تعداد الأصوات عنده أي **تسعة وعشرون حرفا:**

[(خمسة وعشرون صامتا)+(الهمزة)+(ثلاثة صو ائت/الألف، والواو والياء)]

وإذا جاز لنا، في هذا السياق، أن نستثني القيمة العلمية الواضحة من تمييز الصوائت عن الصوامت، فإننا نقر بمجانبة التعداد التام للأصوات الأساسية العربية، طالما أن الخليل اكتفى بذكر الصوائت الطويلة، ولم يضبط الفرق بينها وبين ما يقابلها من صوائت قصيرة، وكذا والواو والياء الصامتتين (شبهي الصائت).

أما سيبويه فهو لم يحد عن أستاذه كثيرا، فعد الأصوات العربية بتسعة وعشرين حرفا.[56] وعلى الرغم من أنه قد تنبه إلى أهم خاصية تميز الأصوات الصائتة عن الصامتة، فإنه لم يجعلها في

مجموعة خاصة أثناء تحديده لمخارج الأصوات كما فعل الخليل، بل وزعها على المخارج (**فالياء**) بين الأصوات الشجرية (**الجيم والشين**)، و(**الواو**) مع الأصوات الشفوية، و(**الألف**) من أقصى الحلق بعد مخرج الهمزة.

وهذا ما يثير فكرة انتباه سيبويه فعلا إلى الفرق بين الواو والياء الصامتتين، والواو والياء الصائتتين، خاصة وأنه يقول في سياق آخر عن الياء في " **أن أُعْطِيَه** " إنها «لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل، نحو باء "ضَرَبَه "، وبعد شبهها من الألف..»[57] حيث يتضح بجلاء تفريقه بين الصائت وشبه الصائت. ومع ذلك فإنه لم يميز بينهما لدى تعداده أصوات اللغة العربية الأساسية، أو "**الحروف الأصول**" خاصة وأنه قال عن الصوائت، التي سماها باللينة: «وهي الواو و الياء, لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها كقولك وأي و الواو، وإن شئت أجريت الصوت ومددت. ومنها (الهاوي) وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف. وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف ثم الياء ثم الواو».[58]

وأما من جاء بعد الخليل وسيبويه، فقد رددوا الأفكار نفسها فيما يتعلق بتعداد الأصوات، بل هناك من أنقصه بحرف، وجعل الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفا فقط، كما فعل المبرد الذي اختلط عليه أمر الهمزة والألف.[59]

ويعزى هذا المشكل إلى عدة عوامل ساهمت في وقوع علماء العرب في هذا النقص لدى الإتيان بالعدد الكامل لفونيمات اللغة العربية. وأهم هذه العوامل:

- تأثرهم بنمط الكتابة العربية أو الخط العربي.
- تأثرهم بمقولة الأصل والفرع، واعتماد مبدأ تقسيم الأصوات إلى ساكنة ومتحركة.

الخاتمة:

في ختام هذه البحث، يجدر التأكيد على النقاط الجوهرية التي دارت حولها إشكاليته، والتي يمكن إيجازها في ثلاثة نتائج، مع مجموعة توصيات، نوردها فيما يلي:

أولا: بالنسبة لربط التعليمية بالمفاهيم الصوتية في إطار تعليمية العلوم، فلقد ساد تجاهل لهذا الجانب رغم أهميته، فتعليم الأصوات وكيفية نطقها وكتابتها، يندرج ضمن تعليم العربية، بينما تعليم الفاهيم الصوتية يندرج ضمن تكوين الباحثين، وتكوين المشتغلين على تعليم علم الإصوات في حد ذاته، حيث يعد نقاشا ابستمولوجيا يستهدف جوانب أكاديمة عالية المستوى.

ثانيا: ما يطرحه المحتوى العلمي لعلم الأصوات يدعو إلى فتح المجال أمام الباحثين لطرح تلك القضايا التي يزخر بها التراث العربي و إبراز قيمته من خلال بناء تصور عن كيفية تقديم تلك المادة التراثية وفق منهج يراعي مستوى المتلقي وحاجاته وأغراضه.

ثانيا: بالنسبة للقضايا الصوتية التراثية التي شكلت فارقا معرفيا في مجال وصف أصوات، فلقد أبان البحث عن جملة من الملاحظات من خلال عرض المصطلحات السابق نقاشها، فالأبحاث والدراسات الصوتية الحديثة قد أفردت تلك المصطلحات والمفاهيم بمباحث متساوقة مع التطور الذي شهدته علوم اللغة في العصر الحديث، ومنسجمة في الوقت نفسه مع التصور الذي أخذه الدارسون عنها ضمن نطاق الدرس الصوتي التراثي.

ولكن هذا الطرح لم يكن له موقع ضمن التعليمية، بمعنى أن تعليم حقائق علم الأصوات لا يخلو من فتح النقاش الذي عرضه البحث، وهنا تتحول المادة الصوتية إلى جامع بين حقائق حول أصوات اللغة العربية، وبين النقاش النظري الذي دار حولها؛ مما يسمح لنا باقتراح مجموعة من التوصيات، نوردها فيما يلي:

_ لا بد أن تتصدى التعليمية لفرز أولويات القضايا الصوتية والمشكلات التعليمية التي لم تتم حلحلتها بعد، وأهمها تلك التي لها علاقة مباشرة مع تعليم نسق اللغة العربية الفصحى، ومن أمثلتها الوعي بالتعداد التام للأصوات الأساسية للغة العربية ، إلى جانب مختلف القضايا المرتبطة بها في النظام الصوتي للغة العربية، مثل المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بكل من الصوائت والصوائت، وأشباه الصوائت وغيرها.

_ تحديد مستويات تلقي الحقائق الصوتية، من خلال التركيز على الفئات المستهدفة، حيث ينبغي للمتخصص أن يلم بمختلف التشعبات في هذا العلم، بينما يُكتفَى بالقضايا البسيطة بالنسبة لفئات التلاميذ والطلبة من المتعليمن، أو الذين يحاولون اكتساب اللغة العربية من غير الناطقين بها.

_ فتح نقاش جاد حول علاقة التعليمية بعلم أصوات اللغة العربية، من خلال الحرص على وضع قواعد عامة تضبط علاج مختلف القضايا الصوتية والاختلافات حولها في ظل تعليمية علوم اللغة، وعدم الاكتفاء بتعليمية اللغة فحسب.

الإحالات:

1 بشير إبرير2004، التعليمية معرفة خصبة مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 10. ص285

2 رشيد بناني، 1991، من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، ذ 1، ص: 39.

3 - ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الجيل، بيروت، ص: 260

4 - نفسه، ص: 260

5 ابن جني، 1955. الخصائص, تح: محمد على النجار، دار الكتب المصرية، ج1، ص 416

6 - نفسه، ص: 416

7 - نفسه، ص619

8 - نفسه، ص 618

9 -السابق، ص 616

10 - انظر كتاب: تحريفات العامية للفصحى، لشوقي ضيف، دار المعرف، القاهرة. ص 37

11 - جعفر دك الباب، 1989، نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ص60.

12 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2، ص301.
13- نفسه، ج1، ص19.
14 - نفسه، ج1، ص22.
15 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص19.
16 - نفسه، ج1، ص21.
17 - نفسه ، ج1، ص21.
18 - نفسه ، ج1، ص51
19 - نفسه ، ج1، ص22
20 - خولة طالب الإبراهيمي، 2000، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ص 43
21 - يستخدم أحد المحدثين وهو تمام حسان مصطلح حرف بدلالة الفونيم في علم الأصوات الوظيفي، ويرى أن مصطلح الصوت تختص بعلم الأصوات النطقي دون الوظيفي. انظر: تمام حسان،1953 مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية،. ص120
22 - جعفر دك الباب، الصوامت والصوائت في العربية، مجلة اللسان العربي ، عدد 19، الرباط 1982، ص.35.
23 - محمود السعران ؛1962, علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, دار المعارف مصر , ط1, ص.148
24 - نفسه, 148-149
25 - نفسه, 150
26 - ابراهيم أنيس،1975. الأصوات اللغوية، مكتبة النجلوا المصرية، القاهرة، ط5، صص 295-296.
27 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحق:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1985. ج1، ص64-65
28 - نفسه,ج1، ص64.
29 - الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1، ج4، ص435.
30 - سر صناعة الإعراب ج1، ص69.
31 - نفسه, ج1، ص8
32 - نفسه, ج1، ص8
33 - ابن جني، 1955، الخصائص, تح: محمد على النجار، دار الكتب المصرية، ج2، ص315
34 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص28.
35 - عبد العزيز الصيغ، 2000، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، ص 224.
36 - ابراهيم أنيس، الاصوات اللغوية، ص 26.
37 - عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 221.-223
38 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص313.
39 - عبد الحميد الأصبعي , 1992, دراسات الصوتية عند علماء العربية,ط 1 ,منشورات كلية الدعوة ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي , سنة ص154
40 - ابن جني، الخصائص, ج2، ص315
41 - ابن سيناء، 1978م . أبوعلي الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة. ص 14
42 - ابن جني، سر صناعة الإعراب, ج1، ص17-18.
43 - داود عبده, أبحاث في اللغة العربية, مكتبة ساحة رياض الصلح, بيروت، 1973, ص42.
44 - إبراهيم أنيس, الأصوات اللغوية, ص39.
45 - جعفر دك الباب،1989م، نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، ص60.
46 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص75
47 - الطيب البكوش،1974 . النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، حوليات الجامعة التونسية, عدد 11 ص 151.
48 - ابن جني، سر صناعة الاعراب، ج1، ص 30.
49 - ابن جني، الخصائص، ج1، ص115.

50 - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: د.أحمد حسن فرحات، دار عمار،الأردن، ط2، 1404 هـ، ص101-102.

51 - أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني، 1407هـ-1988م ،التحديد في الإتقان والتجويد، تح:د. غانم قدوري الحمد، بغداد. ص158.

52 -ابن جني، الخصائص، ج2، ص321.

53 - انظر: العين، ج1، ص64-65.

54 - نفسه,1ج1، ص65.

55 - نفسه,1ج1، ص65.

56 - سيبويه الكتاب، نفسه, ج4، ص435.

57 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص 193. وينظر أيضا ج3، ص469 ، حيث وصف واو " جَدْوَل" بأنها حية .

58 - الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1، ج4، ص435.

59 - المرجع نفسه, ص. 145

المراجع:

1. _ ابراهيم أنيس، 1975. الأصوات اللغوية، مكتبة النجلوا المصرية، القاهرة، ط5،
2. _ ابن جني، 1955. الخصائص, تح: محمد على النجار، دار الكتب المصرية،
3. _ ابن جني، سر صناعة الإعراب،2004، تح: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية،
4. _ ابن خلدون عبد الرحمن، (دت) المقدمة، دار الجيل، بيروت.
5. _ ابن سيناء، 1978م . أبوعلي الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة
6. _ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، 1404هـ،الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: د.أحمد حسن فرحات، دار عمار،الأردن، ط2،
7. _ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني،1988م التحديد في الإتقان والتجويد، تح:د. غانم قدوري الحمد، بغداد 1407هـ-
8. _ أحمد مختار عمر، 1411هـ دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1.
9. _ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية، 1953.
10. _ جعفر دك الباب . 1982، الصوامت والصوائت في العربية، مجلة اللسان العربي ، عدد 19، الرباط.(صص 31 _35)

i. 1989، نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1،

11. _ بشير إبرير (2004) التعليمية معرفة خصبة مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 10. (صص:283_302)
12. _ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين،1985. تحق:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام،العراق،ج1،
13. _ خولة طالب الإبراهيمي،2000، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر،
14. _ داود عبده, 1973, أبحاث في اللغة العربية, مكتبة ساحة رياض الصلح, بيروت،
15. _ رمضان عبد التواب،1987. فصول في فقه العربية. نشر مكتبة الخانجي، لقاهرة، ط3،
16. _ رشيد بناني، 1991، من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء
17. _ سيبويه، الكتاب، ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1، ج4، .
18. _ شوقي النجار، الأصوات،ط1، نشر مكتبة الخانجي المصرية. مصر
19. _ شوقي ضيف، تحريفات العامية للفصحى، ، دار المعرف، القاهرة.
20. _ الطيب البكوش،1974 . النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، حوليات الجامعة التونسية, عدد 11 (صص : 141_152)
21. _ عبد الحميد الأصبعي , الدراسات الصوتية عند علماء العربية,ط 1 ,منشورات كلية الدعوة ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي , سنة 1992,
22. _ عبد العزيز الصيغ، 2000، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط1،
23. _ عبده الراجحي. فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1
24. _ غانم قدوري الحمد، 2002. المدخل إلى علم الأصوات، منشورات المجمع العلمي، العراق،
25. _ كمال محمد بشر، 1975. علم اللغة العام. الأصول ، ط4 ،دار المعارف بمصر ،
26. _ محمود السعران ؛1962, علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, دار المعارف مصر , ط1,
27. _ مهدي المخزومي, 1972, عبقري من البصرة, دراسة الحرية للطباعة- مطبعة الحكومة- بغداد,